

## مصراع هرة

للأستاذ عبد الحميد العبادي

كانت لنا هرة لطيفة ، ظريفة ، خفيفة الجسم ، مرهفة الحس ، طوافة بالليل ، جواللة بالنهار ؛ وكان أولادى يحبونها هي وصغارها الثلاث ، ويحبونها بالفضل من طعامهم ، والكثير من عبثهم ؛ وعلى مر الأيام نشأت بين صغار الأناس وصغار الحيوان ألفة جعلت كلا يحتل عبث كل ، ويمجد في ذلك لذة ومتاعاً وشاء حر القاهرة الذى انتقدت جذوته في أوائل الشهر المنصرم أن ينتج أولادى بعض السواحل فراراً من وقدة الحر ، وابتعاداً بهواء البحر ومائه ؛ وشاءت ظروفى الخاصة أن أبقى فى القاهرة وحيداً إلا من خادم يرعى شؤونى إذا حضرت ، وبحرس المنزل إذا غبت . ففقدت الهرة وصغارها بتبدل الحال ما اعتدته من الطعام إلا قليلاً يمكك الرمح ويستبقى الحياة

وكان الهرة استشرمت شيئاً من الأنفة والأباء ، فلم ترض بالدون ، ولم تصبر على الهون ، وانطلقت تضرب فى الأرض تبغى سعة الرزق لنفسها ولصغارها ، فكانت تمود من حين لآخر مطبقة فيما على سلاح أرنب ، أو مشاش عظم ، أو عصفور اقتصدته فى بعض الحدائق ، فتجمع صغارها على ما وقعت له من الرزق ، فيكون لمن منه عوض عما فقدت من الزاد

وأحبت الهرة أن تمود صغارها السنى معها فى كسب القوت ، فكانت تبرز خارج الدار وتناديهن فيتسارعن إليها ، متواتبات ، شائلات الأذنان ، مؤللات الأذان ، عمدقات العيون ، فيجسبن جميعاً خلال الحديقة ، فلا يمدمن صريراً أو جراداة يقبلن بها بعد أن يلعبن بها طويلاً

ودرجت الأيام على تلك الحال ، وكان القطط استطن حياة السنى ، وذقن حلاوة الرزق المجلوب بالجد ، فمدن لا يابهن لما كنت أرفدهن به من وقت لآخر من كسرة خبز ، أو نبتة لبن ، أو عرق لحم ينهسته ، أو عظمة يتعرفها

\*\*\*

غير أن صروف الأيام لا ينجو من كيدها إنسان ولا حيوان ، ولا يسلم من آفاتهما من يعشى على اثنتين ، وما يدب على أربع .

فقد كنت ذات يوم جالساً فى منزلى وقت الظهيرة ، وكنت ضيق الصدر ، لكيس النفس ، كأنما أتوقع حدثاً يحدث ، أو خطباً يلم ، وإذا بى أبصر الهرة تلج من باب الدار بهيئة أنكرتها : أبصرتها تمشى متخلجة ، متخلمة ، تخالف بين يديها ورجليها ، وتقوم وتقع ، وتصطدم بما يلقاها فى طريقها ، فأثبتها النظر ، فرأيت ، وما أظن ما رأيت ! رأيتها مشجوجة شجاً قبيحاً ، فأدرت من فورى أن فظاً غليظ القلب ، محمقاً من طبائخ الحى قد أعنتته الهرة فى طلاب العيش ، فأهوى إلى رأسها بسكينه ، فشر إحدى عينها ، وكاد يشطر الرأس شطراً

وأدرت أن السكينة تحاول الوصول ، على ما بها ، الى صغارها ، فطقت أجمعن لها من هنا وهنا ، وما هى إلا أن أحسن حتى تحوت عليهن ، ترضعن وتمسحن بلسانها على طاتها . فلما جن الليل جعلت أريد الهرة على الخروج من المنزل ، لعل برد هواء المشى ونسيم السحر ينفعها ، ولكنها رفعت الى رأسها وكأنها تستعفىنى من الخروج ليئتها تلك ، ولأقضى بعد ذلك ما أنا قاض . ففازت على وحى حالها ودلالة منظرها ، وانصرفت الى مضجعى . فلما كان الصباح إذا بى أنحو على مواء موحج صادر من الهرة ، فأسرعت إليها فوجدتها تعالج سكرات الموت ؛ وما هى إلا لحظة حتى غدت جثة هامدة لا حراك بها . كل ذلك والقطيطات حبال ذلك المنظر الذى لم يعرفه بعد ، مبهوات سامتات مأخوذات . وكأنهن وقد سكنت حركة أمهن يتمثلن بالشعر الذى وضعه الشاعر الإنجليزي - بيرون ، على لسان (قاييل) عند ما رأى أخاه (هايل) ميتاً ، ولم يكن رأى الموت قط :

أخى ما عراك؟ وكنت النداء ذكى الفؤاد ، قوى البدن  
على العشب ملقى ، فماذا هناك؟ أنوم ، وما الوقت وقت الوسن؟  
سكنت ، وأمسك منك اللسان وهل مات حتى إذا ما سكن؟  
ألا ما هلكت ! وإن كان فى شحوبك معنى مهبج الحزن<sup>(١)</sup>

نعم ! لقد كان فى تغير حال الهرة الميتة معنى هاج حزن القطط ، فقصد لذن بأركان المكان واجبات ، ولو ألهمن النطق لتمثلن بقول النابتة :

من يطلب الدهر تدركه غالبه والدهر بالوتر ناج غير مطلوب  
ما من أناس ذوى مجد ومكرمة ألا يشد عليهم شدة الذيب  
حتى يبسد على عمد سراتهم بالنافقات من النبل المصاييب

(١) كتاب (مبادئ الفلفة) ترجمة الأستاذ أحمد أمين

# الجانب الصوفي

في الفلسفة الإسلامية<sup>(١)</sup>

للدكتور ابراهيم ييومي مذكور

- ٢ -

عنى الفارابي كل الناية بموضوع السعادة علما وعملا ،  
فخصه بكتابين من كتبه شرح فيها مختلف آرائه الصوفية ،  
وبين الوسائل الموصلة إلى السعادة ؛ وهذان الكتابان هما :  
تحصيل السعادة ، والتنبيه على السعادة ، اللذان طبعا في حيدرآباد  
سنة ١٣٤٥ و ١٣٤٦ هـ ، وقد استأزا - مقرونين إلى الرسائل  
الفارابية الأخرى التي وصلت إلينا - بزيارة مادتهما ووضوح  
أسلوبهما ؛ وحبذا لو فكرنا في إعادة طبعهما بمصر . ولم يكتف  
الفارابي بهذه الدراسة النظرية ، بل جد في أن يتذوق السعادة  
بنفسه ، وأن يصل بتفكيره وتأمله إلى مرتبة الفيض والالهام  
كما صنع أفلاطون من قبل . ويقال إنه حظى بذلك مرة أو مرتين  
وواضح أنه ليس في مكتنة الناس جيما الصعود إلى مرتبة  
هذه السعادة ، ولا يبلنها إلا النفوس الطاهرة المقدسة التي  
تستطيع أن تحترق حجب الغيب وتصلد إلى عالم النور والبهجة .  
يقول الفارابي : « الروح القدس لا تشغلها جهة تحت عن  
جهة فوق ، ولا يستغرق الحس الظاهر حسا الباطن ، وقد  
يتمدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه ، وتقبّل  
المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس ، والأرواح  
العامية الضعيفة إذا مالت إلى الباطن غابت عن الظاهر ، وإذا  
مالت إلى الظاهر غابت عن الباطن ... وإذا اجتمعت من الحس  
الباطن إلى قوة غابت عن أخرى مثل البصر يُجبّل بالسمع ،  
والخوف يشغل عن الشهوة ، والشهوة تشغل عن الغضب ،  
والفكرة تصد عن الذكر ، والتذكر يصير عن التفكير ،  
أما الروح القدس فلا يشغلها شأن عن شأن »<sup>(٢)</sup>

(١) اضطرنا سفر مناجي\* إلى أوروبا لقطع هذه السلسلة التي بدت في  
العدد ١٥٧ من أعداد الرسالة ، فنضرة إلى القراء

(٢) الفارابي ، الثمرة المرضية في بعض الرسائل الفارابية ، ص ٧٥

إني وجدت سهام الموت ممرضة بكل حتم من الآجال مكتوب

\*\*\*

ونارت نفسى لهذا المنظر الأليم ، وذكرت قسوة الانسان  
على المعجاوات مع أنه مستأن عليها ، مستحفظ لها ، مسؤول  
عنها . وذكرت ما جاء في صحيح الأثر من أن امرأة دخلت النار  
في هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي أسقتها ، ولا هي  
تركتها تأكل من خشاش الأرض . وذكرت قول الرسول  
المرابي : « إياكم والثلة ولو بالكلب العقور » ؛ ونهيه عليه السلام  
أصحابه عن اعتقاد الرحال في المجالس حتى لا يعلق بها شوك يؤذى  
الابل عند ما توضع على ظهورها ، وقول عمر لرجل رآه يعنف  
بماشية يسير بها ليذبحها : « يا هذا سقها إلى الموت سوقا رفيقا » ،  
وذكرت رسالة ( الحيوان والانسان ) التي ختم بها إخوان  
الصفاء رسائلهم ، وكيف ذهبوا فيها مذهبا لطيفا في التذليل على  
أن الانسان في حقيقة الأمر حيوان من الحيوان ، لا يفضل غيره  
من الأنواع إلا بالعمل الصالح النجى له في الدنيا والآخرة .  
ذكرت كل ذلك فطلعت أن البون لا يزال عندنا شاسما بين القول  
والعمل ، وأن المبادئ الجلية لا تزال إلى حد بعيد مجرد حبر على  
ورق ، وذلك من سوء حظ الانسانية الصحيحة

أما بعد ! فلا تبعدى أيتها الهرة المظلومة ! فكأس النية  
لا تبرح دائرة على الخلائق ، يشرب بها الرفيع والوضع ؛ وسبان  
في حكمها من عيشى سوريا وما عيشى مكبا على وجهه . إن الموت  
لنمرى واحد ، ولكن الموتات تختلف ؛ وموتتك أيتها الهرة ؛  
من أشرف الموتات . لم تموتى حتف أنفك ، ولم تموتى في مسمى باطل .  
لقد قضيت جاهدة ، مجاهدة ، وذهبت في ريمان عمرك ضخمة  
الواجب ، والسعى الصالح . إذا طالت الأعمار بأقوام رضوا  
بالهوان والمسكنة ، وآثروا العافية الذلة على الجهاد المشرف .  
نعم ، إنك لم تجدى في هذا العالم من ينصفك ، ويطلب بشارك ،  
ولكنك واجدة عند القوة المسكة لهذا الكون خير الجزاء .

ألم تدخل امرأة النار في هرة أماتها ظمأ وجوعا ؟ أليس معنى  
أن الانسان إذا تجرد من الرحمة فهو عند الله أحط شأنا من  
المعجاء ، وأن الله لا يستحي أن يقصها منه إذا طغى عليها وتجبّر ؟  
ألا كفى بذلك للنفس ، لو تطين ، تأساء وتمزّة ؟

عبد الحميد العبادي

١٩٣٦/٩/٨